الآداب

المجلد:22، العـــدد:01، ديسمبر 2022

الصفحات: 212-228 ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

جهود المستشرقين الفرنسيين وإشكالية ترجمة الشعر الشعبي الجزائري إبان الفترة الاستعمارية / المستشرق الفرنسي سونيك نموذجا

The Efforts of the French Orientalists and the Problem of Translating Algerian Folk poetry during the Colonial Period The Model of the French Orientalist Sonneck

د. عائشة عبيد [1]

[1] جامعة الإخوة منتوري– قسنطينة، الجزائر، abid.aicha@umc.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2022/06/18 تاريخ القبول: 2022/12/05 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى الجزائر على محاولة السيطرة على الشعب الجزائري، فحاول استيعاب طبيعته وفهم ثقافته ودينه ومقوماته الوطنية. ولما كان الأدب الشعبي هو ذلك المعبر عن الشعوب بلغتهم البسيطة ومشاعرهم الصادقة، فقد عمل المستشرقون الفرنسيون على جمعه وتدوينه، خدمة للمستعمر أو إشباعا لفضولهم المعرفي. ومن ضمن ما اهتم به المستشرقون الفرنسيون في الجزائر هو الشعر الشعبي؛ إذ عملوا على تدوينه من الأهالي والرواة، وفهمه وشرحه بلغتهم الفرنسية.

ومن أبرز من اهتم بهذا الموضوع المستشرق الفرنسي سونيك، الذي تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تسليط الضوء على جهوده، والوصول إلى أنها كانت قيمة في هذا المجال.

كلمات مفتاحية: الشعر الشعبي الجزائري؛ الفترة الاستعمارية؛ سونيك؛ الترجمة.

Abstract:

Since it entered Algeria, French colonialism has worked on controlling the Algerian people by absorbing its nature and understanding its culture, religion, and national elements. Since folk literature was a means of expressing people by their simple language and sincere feelings, the French orientalists thrived on gathering and writing it to serve the colonizer's knowledge and curiosity. One of the interests of the French orientalists in Algeria was popular poetry. Therefore, they worked on recording it from native people and narrators to understand and explain it in French.

المؤلف المراسل: عائشة عبيد.

The French orientalist Sonneck was among the prominent ones who cared about this topic. This study aims to spot light on the efforts of Sonneck, and it revealed that he largely contributed to this field.
Keywords: *Algerian popular poetry; the colonial period; Sonneck; translation.*

مقدمة:

يلعب الأدب الشعبي بأنواعه دورا أساسيا في التعبير عن الشعوب، وتبيين شخصيتها وثقافتها وهويتها من خلال التعبير عنها بلغة بسيطة، وبارعة في نفس الوقت في إيصال فكرة كافية حولها. وقد تفطن المستعمر الفرنسي لهذه الأهمية، فظهرت محاولات عديدة من قبل الباحثين والمستشرقين الفرنسيين لدراسة الأدب الشعبي الجزائري.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على مجهودات هؤلاء في جمعهم ودراستهم للمدونات الشعرية الشعبية، من خلال التركيز على المستشرق الفرنسي سونيك **sonneck**، الذي جمع ودون الشعر الشعبي الجزائري والمغاربي في كتابه " الديوان المعرب في أقوال عرب إفريقية والمغرب"، والذي قام بترجمته كذلك بطريقة معينة حاول فيها الموازنة بين اللغة الأصلية واللغة المترجم إليها، فكيف كانت هذه الطريقة؟ وهل كانت ناجحة فعلا في المحافظة على المعاني وإيصالها بدقة؟ هذا ما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عنه عن طريق الإجابة عن هذه التساؤلات، ومن خلال الاعتماد على المنهج التاريخي وصفا وتحليلا.

1.تعريف الاستشراق:

1.1 لغة:

يرجع أصل كلمة الاستشراق إلى الفعل شرق، يقال: "شرقت الشمس، تشرق، شروقا وشرقا: طلعت، واسم الموضع المشرق، وكان القياس المشرق"[1]، إذا فالفعل شرق يدل لغويا على اتجاه معين وهو الشرق. أما كلمة استشراق" فوردت على وزن استفعال، ونحن نعلم أن هذا الوزن يدل على طلب الشيء"[2] فكلمة استشراق لغة هي طلب الشرق.

2.1اصطلاحا:

عرف العديد من الباحثين مصطلح الاستشراق واتفقوا –تقريبا– على أنه "دراسة لتاريخ الشرق وأممه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره"[3]، والمستشرق هو الشخص الذي "تبحر في لغات الشرق وآدابه"[4]. فالمستشرقون إذا هم من اهتموا بحضارة الشرق بما فيها من علوم مختلفة، فدرسوها بعناية وأولوها اهتماما كبيرا.

2.الاستشراق الفرنسي في الجزائر:

إذا أردنا الحديث عن تاريخ الاستشراق بصفة عامة، سنجد أنفسنا أمام دراسة طويلة حول بداياته وتطوره في الشرق، إلا أن ما يهم موضوع الدراسة هنا هو الاستشراق في الجزائر.

وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال حول إمكانية تطبيق هذا المصطلح على الجزائر باعتبارها جغرافيا بعيدة نوعا ما عن الشرق؟، والجواب هو أن الأجنبي أو الفرنسي –على وجه التخصيص– يرى أنها ليست بمنأى عن هذه الدراسة، فهي تنتمي إلى منطقة شمال إفريقيا التي لعبت دورا كبير في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا "فأسلوب المسلمين في حياتهم الاجتماعية واحد في المشرق والمغرب، وهو أسلوب يستظل بآداب الإسلام وأحكامه، وقد يختلف أهل المشرق والمغرب في بعض العادات والقضايا الثقافية، إلا أنهم يتفقون حول أمور عقيدتهم، وهو أهم عنصر في حياة الإنسان وهو نفسه الذي يجعل المغرب ينضوي ضمن المشرق"[5].

ارتبط ظهور الدراسات الاستشراقية في الجزائر بالاستعمار بشكل مباشر، فمنذ " القرن 19 م بدأ المستشرقون الفرنسيون بالاهتمام بالتراث اللغوي العربي والأدبي على غرار مراسليهم من القناصل والتراجمة، فوجدوا أنفسهم في خضم المغامرة الاستعمارية التي كان بعضهم ضميرها الحي، حيث وفرت لهم إمكانيات إشباع ميولهم وتحقيق أحلامهم وبالتالي تحقيق أهداف الاستعمار، حينما عهد إلى بعضهم جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ودراستها، وترتيب المكتبات التي كانت تحت إشرافهم"[6]، لذا فهناك من يرى أن المستشرقين الفرنسيين في الجزائر فئتان هما:" المستشرقون الاستعماريون الميدانيون الذين أعلنوا تأسيسهم للاستعمار وخدموه بكل شيء، وكانوا جنودا في صفوفه. والفئة الثانية من المستشرقين الذين لم يكونوا استعماريين ميدانيين، لكن المهام التي أسندت

إليهم والمعلومات التي قدموها خدمت الاستعمار، سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد كما ذكر ذلك إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق"[7].

وفي كل الأحوال فقد ارتبطت ظاهرة الاستشراق والمستشرقين في الجزائر ارتباطا مباشرا ووثيقا بالاستعمار، ودرس هؤلاء الطبيعة الأدبية والاجتماعية والعلمية والدينية للمجتمع الجزائري، سواء أكان هدفهم إشباع الفضول العلمي، أو خدمة الاستعمار الفرنسي بتقديم المعلومات له.

1.2أهداف الاستشراق في الجزائر:

يرى الباحثون أن للدراسة الاستشراقية في الجزائر أهدافا ودوافع عديدة منها:

1-الدافع الديني:

يعد هذا الدافع من أهم أسباب اهتمام الدراسات الاستشراقية بالجزائر؛ "فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة... وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون -بروتستانت وكاثوليك- بحاجة ملحة لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية، ومحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح...، ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم إعداد الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي"[8]؛ فانتشار الإسلام في العالم ونشر مبادئه الجديدة التي نجحت في اكتساب قلوب الملايين من البشر، حرك في نفوس المسيحيين والكنيسة رغبة في إعادة النظر في ديانتهم ومذاهبهم وإصلاحها، فاتجهوا لدراسته -الإسلام- وفهمه، ثم أخرجوا أشخاصا لمحاربته في البلدان التي انتشر فيها عن طريق التبشير المسيحي، وهذا ما نجده في الفترة الاستعمارية في الجزائر، والكاردينال لافيجري **Lavigerie** أحسن مثال على ذلك.

2-الدافع الاستعماري:

ترتبط ظاهرة الاستشراق في الجزائر- كما ورد سابقا- بالاستعمار، إذ أن " القوتين الفرنسيتين الاستشراقية والاستعمارية كانتا متطابقتين ومتلاحمتين، والعلاقة بينهما كانت أكثر انسجاما وتكاملا، ويعود ذلك لوحدتهما القومية والمصلحية والوطنية في إطار فرصة تاريخية ظرفية استثنائية، فالاستعمار الفرنسي يتميز عن غيره بأنه كان استعمارا استيطانيا خاصة في شمال إفريقيا، وعلى وجه

خاص في الجزائر، وهذه السياسة الاستيطانية كان الاستعمار يعمل على تكريسها ثقافيا عن طريق الاستشراق ...ويمكن القول إن القوة الاستدمارية كانت تغذي الاستشراق، وكذلك الاستشراق كان يغذي الاستدمار، وقد يتحول الأمر إلى قضية فلسفية، والحقيقة هي أن الاستدمار ما كان لينجح لولا الاستشراق، الذي زوده بدراسات وتفاصيل حول فريسته"[9]، أو لنقل أن الاستعمار استعمل سياسة اعرف عدوك، وكانت الدراسات الاستشراقية هي السبيل لهذه المعرفة.

3-الدافع العلمي:

قام المستشرقون بدراسات كثيرة حول الحضارة العربية الإسلامية، ولعل الدافع العلمي كان من أكبر الدوافع التي جعلتهم يقومون بذلك، فنجدهم يعترفون قائلين: "إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه"[10]، فدور الحضارة العربية الإسلامية وفضلها على العالم لا ينكره عاقل؛ فهي التي ساهمت بشكل كبير في تطور شتى العلوم، فنجد مثلا أن الأندلس كانت منارة للعلم إذ نزح إليها "طلاب العلم من أنحاء أوروبا، فالتحقوا بمدارسها وجامعاتها وانتفعوا بدور الكتب الكثيرة بها ثم عادوا إلى بلادهم ونشروا فيها علوم العرب وثقافتهم"[11].

وليست الجزائر بمنأى عن هذه الدراسات فعند دخول الاستعمار الفرنسي لها، كانت دولة متشبعة بالحضارة العربية الإسلامية، وصاحبة هوية ثقافية جديرة بالمعرفة والدراسة أيضا، فهي في النهاية جزء من الكل.

2.2اللغة العربية والدراسات الاستشراقية بالجزائر:

اهتم المستشرقون الفرنسيون في الجزائر بمجالات بحث متنوعة، إذ "خصصت مدارس وجمعيات لتسهيل مهمة المستشرقين وإضفاء الصبغة العلمية عليها"[12]، ومن أهم المجالات التي اهتم بها هؤلاء اللغة العربية، وهي اللغة الرسمية ووسيلة التواصل وحاملة العلوم في هذه البلاد، فنجد اهتمامهم بما يلي:

1-المعاجم :

أدرك الاستعمار خطورة مسألة اللغة والمعجم اللغوي منذ البداية؛ فالمعاجم هي من تتيح فهم لغة الآخر، وتزيح الغموض حوله. لذا بدأ المستعمر الفرنسي بمعجمين عربيين" وضعا في متناول ضباط الجيوش الغازية أولهما مشفوع بحوارات، وقد وضعه الترجمان بنيمين فانسان **Benjamin Vincent** ... أما الثاني فصاحبه إبراهيم دانينوس **Abraham Daninos** المولود بالجزائر والمتجنس بالجنسية الفرنسية"[13]، وقد كانت الترجمة والمعاجم جد مهمة في هذه المرحلة إذ "كانت القواميس توزع على ضباط الجيش لمعرفة مبادئ العامية، مثل معجم دانينوس المذكور، ومعجم المستشرق جان جوزيف مارسيل المعجم الفرنسي العربي للهجات العامية الإفريقية في الجزائر وتونس ومراكش ومصر، بالإضافة إلى تأليف جوني فرعون في اللغة العربية بمدينة الجزائر"[14]، وقد ظهرت العديد من المعاجم التي تشرح اللغة العربية واللهجة العامية في الجزائر، وهذا ما يدل على اهتمام الاستعمار بها من خلال المستشرقين الذين أدوا دورهم بقوة.

2-التراجمة:

لا يعقل أن نجد معجما دون مترجم، فالمترجمون أو التراجمة لعبوا دورا كبيرا في تأليف المعاجم وتعريف الاستعمار الفرنسي باللغة العربية، وقد انتشر ما يعرف بالتراجمة العسكريين، و"انتمى لهذا السلك من التراجمة العسكريين بشكل دائم، ضباط متعلمون ومغاوير إن نحن اقتصرنا على أولئك الذين برزوا بفضل منشوراتهم المتعلقة بالدراسات العربية، فلا بد أن نذكر بخاصة: آرنو **Arnaud**، باقار **Bagar** ... سونيك **Sonneck**"[15] وغيرهم .وقد يطول الحديث عن المترجمين وأنواعهم، والذين قسمهم أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه السادس إلى:

-تراجمة الحملة وغداتها: وهم من تضمنت ترجمتهم" نقل الوثائق المكتوبة من رسائل وعقود ملكية وكراء وأوقاف وعرائض، ثم الكتب والمصادر المكتوبة عموما...، فالترجمة هنا تعني النقل الكتابي والشفوي من العربية الفصحى أو غيرها والدارجة الشفوية فقط"[16]، أي أنهم قاموا بالترجمة اقتضاء لما تحتاجه هذه المرحلة -بداية الاستعمار- للاستيلاء على الممتلكات من جهة، وفهم لسان الشعب المستعمر من جهة أخرى، ونذكر منهم: إبراهيم دانينوس.

-المترجمون الجزائريون: وهم جزائريون تعلموا اللغة الفرنسية، ومنهم المتجنسون بالجنسية الفرنسية وغير المتجنسين، وهم بدورهم أنواع فمنهم من أرغم على هذا ومنهم من خدم الاستعمار، ومنهم من كان دافعه هو المساهمة في الحياة الثقافية[17]، ومهما اختلفت أنواع المترجمين وكثر عددهم فما يهمنا هنا، هو أن الاستعمار الفرنسي والمستشرقين اهتموا بالترجمة اهتماما بالغا في المرحلة الاستعمارية في الجزائر.

3-التعليم:

اهتمت فرنسا بالتعليم عن طريق تطبيق سياسة الازدواجية؛ إذ "عملت على نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي من جهة، وبالمقابل شجعت على تعليم اللغة العربية للفرنسيين"[18]، ويقال أن الاهتمام باللغة العربية جاء لسببين رئيسيين أولهما: معرفتها لفهم الشعب الجزائري والسيطرة عليه، وثانيهما لمحاربتها وهذا بالفعل ما حدث في الفترة الاستعمارية، واستمر لغاية يومنا هذا فلا يكاد يخلو كلامنا اليومي من كلمات فرنسية مختلفة، أثناء حديثنا. غير أن ما يهمنا مما سبق، أن الدراسات الاستشراقية اهتمت باللغة العربية والترجمة والمعاجم والتعليم، لخدمة المعرفة من جهة أو لخدمة الاستعمار من جهة أخرى.

3.الدراسات الاستشراقية للأدب الشعبي في الجزائر -المستشرق سونيك نموذجا-:

اهتم المستشرقون غداة دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر بكل ما يتعلق بمكونات المجتمع الثقافية، لهذا ظهر -كما سبق الذكر- الاهتمام بترجمة اللغة العربية، فـ"رغم عدم مبالاة الفرنسيين باللغات الأجنبية فقد اضطروا إلى دراسة العربية الدارجة"[19]، وحين نقول الدارجة سيتوجه نظرنا مباشرة إلى ذلك الأدب الشعبي، الذي يعبر عن المجتمع ويحمل قيمه. والذي رغم بساطة لغته إلا أنه مهم جدا في فهم طبيعة الجزائري وبيئته.

ويعتقد البروفيسور عبد الحميد بورايو أن الأدب الشعبي في الفترة الاستعمارية كان يعاني من الإهمال "إذا ما قورن بجوانب الحياة الشعبية الأخرى، وما حظي منه بالاهتمام كان يرتبط ارتباطا مباشرا بالثقافة المادية، واعتمده الباحثون الفرنسيون كمادة تصلح للكشف عن سلوك الإنسان

الجزائري وردود أفعاله"[20] خدمة للاستعمار؛ باعتبار أن دارسي الأدب الشعبي هنا هم العسكريون الذين كانت دراساتهم طيلة القرن 19م "موجهة بالدرجة الأولى للقارئ الموظف بالإدارة الفرنسية في الجزائر، نظرا لطابعها النفعي الذي ذكرناه، وللقارئ المواطن الأوروبي في الجزائر بالدرجة الثانية، لكي يعرف هؤلاء الناس الذين يعيش على أرضهم، وقد تضطره الظروف إلى التعامل معهم، وكذلك للقارئ الفرنسي العادي بأوروبا ليأخذ فكرة عمن يسميهم أصحاب هذه البحوث بالمتوحشين الذين تقوم بلادهم برسالتها الحضارية اتجاههم !"[21]. واختلف هذا الهدف وهذه الرؤية نوعا ما مع نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م مع الباحثين الجامعيين " الذين كانوا يتميزون عن سابقيهم بوعي علمي بحكم انتسابهم لهيئات ذات صبغة مدنية"[22]، ومن بين هؤلاء المستشرق الفرنسي سونيك[23] الذي سلط الضوء على مجال الشعر الشعبي.

1.3منهج سونيك في الجمع والتدوين في كتابه الديوان المغرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب:

*** وصف الكتاب وشرح محتواه:**

كتب سونيك ديوانه الديوان المعرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب (Chants Arabes du Maghreb, etude sur le dialecte et la poésie populaire de l'Afrique du Nord)، سنة 1902م، وجمع فيه "ما كان يسمع آنذاك عموما ومألوفا، فنجد أشعار بن خلوف وابن مساب وحيزية بن قيطون وغيرهم من فطاحل الشعراء في تلك الحقبة، وهي قصائد نادرة جمعها هذا الأخير في وقت .. كان الشعر يروى شفاهيا في كامل أنحاء المغرب العربي"[24]. وقد كتبه ونظمه بطريقة متميزة نصفها كالتالي:

–حين نتأمل الكتاب نجد أن مؤلفه اختار له غلافا على الطراز الإسلامي، فهو "عبارة عن مدخل مسجد على شكل أسطوانتين فوقهما قوس، واختار لهذا الشكل اللون الأخضر تيمنا برمز شعارات الحركة الصوفية"[25]، كما في الصورة المرفقة.

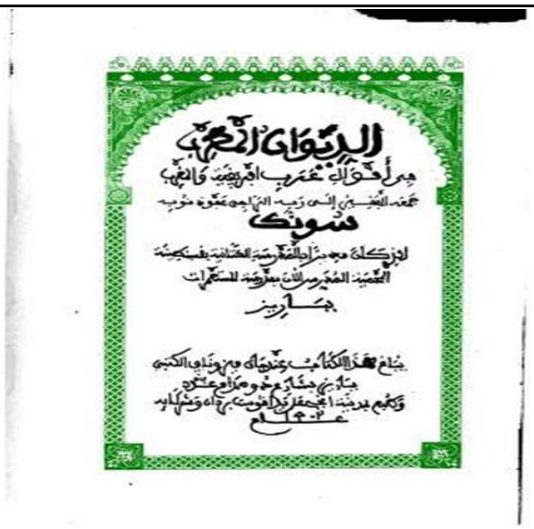

الشكل رقم 01: غلاف الكتاب

-يحتوي الكتاب على عدد كبير من القصائد يصل عددها إلى " 117 قصيدة متنوعة الأغراض والموضوعات- 43 قصيدة لشعراء الجزائر، 12 قصيدة لشعراء من تونس، 8 قصائد لشعراء من المغرب، قصيدة واحدة لشاعر من ليبيا، 53 قصيدة مجهولة المؤلف معظمها من التراث الشعبي الجزائري"[26]، وقد نالت القصائد الشعبية الجزائرية فيه حصة الأسد من التدوين والدراسة.

-يحتوي الديوان على قصائد مكتوبة باللغة العربية، وضع لها سونيك هوامش باللغة الفرنسية تحتوي على الكلمات العربية بالرسم اللاتيني -فرنسية- مرفقة بشرح معناها نهاية كل قصيدة[27]، مثل ما توضحه الصورة التالية المأخوذة من الديوان نفسه.

١ راني في جبـــال فرصه عـــاليـين ما كان من يطيق فيهم ساعه واحدا
٢ اذا سالوا الـطـايـفـين عليهم سال وبفيهم بـالسلامه يـا ثمري السدا a
٣ بـعـد اركوبي على سبنتيـات اطوال انـظـل نسير في الـبجوج الثبليـا
٤ وليت انسير في دويـرة بـيـن بحـار والـبـر حرام والبحر دايـر بـيـا
٥ والدنيـا من ثـديم تـطـيـاب وتمرار تتقلب على العلك دايم خـدعـيـا
٦ راها ما دامت للنبي الطاهر بو الانوار واخلعا الاربعه اصحـاب الـكـيـبـيـا
٧ يا ثليبي سامف الدرك اشرب الامرار واصـبـر لله كـمـا راد عـلـيـا
٨ والصبر انيس للـعـقـل ينبي الاضرار والضيفـه لا صلاح فـيـهـا دونـيـا
٩ واصبر يـا ثليبي على زهو الـدنيـا

a) السدا ssĕdda = السدّة. *L'i remplace le s (s) dans les substantifs et les adjectifs formant les rimes.*

الشكل رقم 02: جزء من قصيدة في الديوان[28]

-يفتتح الديوان "بقصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو موضوع ثابت في القصيدة الشعبية ولازمة افتتاحية فيها"[29]، ويصف أنها قصيدة " لأحد من أولاد رحمون، وهم قبيلة من عمالة قسنطينة اسمه بلقاسم الحداد"[30]، فنجده يقول:

بيت

٣٤ يا سعبى والبجر ظاهر واصغـى لي كل حاضر
٣٥ كثر بالصلاة على الطاهر تـغـنـم كل ارباح
٣٦ بعـثه الالـه الـغـادر جـا لـنـا نـصـاح
٣٧ يـا سعبى والبجـر علم

الشكل رقم 03: جزء من افتتاحية الديوان.[31]

وهو مقطع يدعو للصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام، ويؤكد أنه مبعوث من الله تعالى، وأن سيرته تجلب الخير والبركة.

-تنوعت قصائد الديوان في موضوعاتها فتحدثت عن الأولياء والصالحين مثل: في الضمير ناري مقديا التي يمدح فيها "الولية لالة عايشة بنت الشيخ عمران بن الحاج سليمان المنوبية"[32]، وباسمك بديت يا غاني وفيها "دعاء العربي بن أحمد بن القزقاز وقيل القرباز يعظم الشيخ الولي الصالح السيد أحمد بن محمد بن المختار صاحب الطريقة التيجانية"[33] وغيرها. ويتبعها بقصائد عن الحكم والمواعظ مثل قصيدة أدبك ثوبك ووجهك عرضك. ثم ينتقل إلى القصائد الخمرية مثل قصيدة هب النسيم طابت الحضرة السنية، و"يلاحظ أن الخمريات في ديوانه ضعيفة فنيا، وأن أصحابها من سكان المدن التي كانت تعج بمجالس اللهو والغناء والمجون"[34].

كما نجد الغزل والمراثي كقصيدة حيزية المشهورة والموجودة تحت عنوان عزوني يا ملاح، كما نجد الشعر السياسي، ويختمها بقصيدة في الضحك. وما يمكن قوله أن قصائد الديوان كانت غنية بالمواضيع المختلفة التي تطرقت لها وعالجتها.

-يترجم سونيك حياة أصحاب القصائد عن طريق إعطاء نبذة قصيرة عنهم، وقد لا يفعل ذلك، كما توضحه الصورة الموالية:

٥ يا الغري جي الدنيا

هذه القصيدة الطويلة للشيخ محمد بن سليمان المغربي المكناسي كان جي فيد احياة جي الفرن الثاني عشر ولا اعلم جي شانه غير ذلك الا انه يوجد جي السبعاين كثير مما نظمه جي التصوف ١٣

٦ يا فليبي وملاش تتلظى

كلام مغربي لشاعر لم اقف على اسمه والعصامي انما تخلصه جغط ١٦

الشكل رقم 04: جزء من هامش في الديوان[35]

فهو هنا يعرف بصاحب القصيدة الأولى، بينما يقول أن صاحب القصيدة التالية مجهول.

وهناك العديد من الخصائص الأخرى والكثيرة التي تميز بها الكتاب، والتي لا يتسع المجال لذكرها، فما ذكر من خصائص سابقة هو ما يخدم موضوع البحث.

3.3مصادر سونيك في جمع وتدوين كتاب الديوان المعرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب:

اعتمد سونيك في تأليف ديوانه على العديد من المصادر هي:

1-الشاعر الشعبي:

اعتمد المؤلف في المقام الأول على الشاعر الشعبي في جمع القصائد المختلفة وتدوينها، "فالشاعر الشعبي هو حامل الإبداع الذي يمتح منه الثقافة الشعبية في لغتها وصورها وفنياتها"[36]، ونجد بالفعل العديد من الشعراء مثل: محمد بن سهلة، أحمد بن التريكي، محمد بن قيطون وغيرهم. وقد يكون سونيك أخذ القصيدة من أفواههم مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة من أفواه من حفظوا قصائدهم بعناية.

2-الراوي الشعبي:

هو الشخص الذي ينقل الرواية أو القصيدة أو الحديث من أفواه الشعراء بأمانة، ويرويها للآخرين وهو شخص" يتمتع بمواهب فيزيولوجية وقدرات خلاقة وحافظة خصبة، ... بالإضافة إلى قوة ذاكرته في الحفظ وجرأته وقدرته على الاطلاع والإبداع"[37]، ولا شك أن سونيك قد اعتمد على الرواة أيضا فمن غير المعقول أن يجمع كل هذا الكم من القصائد من أفواه شعرائها مباشرة، فنجد هذا في قصيدة "اصادني ما صادها" التي يصفها بأنها أغنية مشهورة جدا، وبالتالي نقلها الرواة من الشاعر إلى الناس.

كما يكون سونيك قد اعتمد على المداحين أو القوالين وهم "رواة الشعر الشعبي الغنائي... الذين سجل منهم بعض القصائد التي ملأت الأسواق وشغلت الجمهور"[38]، كما استعان بهواة جمع الشعر الشعبي أيضا.

4.إشكالية ترجمة الشعر الشعبي في ديوان سونيك:

اعتمد المستشرق الفرنسي سونيك في جمع وتدوين كتابه الديوان المعرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب على مصادر كثيرة – سبق ذكرها–، إذ نجد أنه جمع عددا لا يستهان به من القصائد الشعرية الشعبية في الجزائر وما جاورها. أما اللغة التي جمع بها القصائد فهي العربية التي نطقت بها، فنجد القصيدة مكتوبة كما سمعت، وفي الهامش يوجد الكلمات الصعبة بالحرف اللاتيني مع كيفية نطقها وشرحها باللغة الفرنسية، مثل: كلمة مروك نجده يشرحها كما تبينه الصورة الآتية:

c) مروك mĕrrōūk, *mot qui n'appartient à aucune langue, signifie* marocain *dans l'Afrique du Nord; c'est une corruption de l'esp.* marroqui.

الشكل رقم 05: صورة هامش من الديوان[39]

أو مثل:

a) مرشان mărichān, *fr.* maréchal de France.
b) كيان kăyān, *Cayenne.*
c) افرانسا frānsa, *France.*

الشكل رقم 06: صورة هامش من الديوان[40]

–يعتمد سونيك على الشرح؛ فيعطي مرادفات للكلمة الواحدة التي قد يختلف نطقها من منطقة إلى أخرى مثل:" الظهر eddahr pour الدهر، د devient fréquemment ظ"[41].

كما أنه يشرح الأفعال وتصريفها، والكلمات وغير ذلك مثل:

١ يا من تصغى ليا ۞ نبغشي تراجم وانا بي كل حال مولاهم

٢ وتراجي يجيبوا صحة الاخبار ۞ باش لهيم ناس الغرام تمثيلك يا مغروم

٣ وبراجه وفصيا ۞ كما سمعت نحدث للسامعين ترضاهم

٤ بشطارة العقل وبلاغة الابكار ۞ جبت خصام الخودات بي نهايه شعري منظوم

٥ جيت دون نويا ۞ يوم جيت نزور الي تايهت ببهاهم

٦ من لا نظرتهم بي بوادي وامصار ۞ القمر والشمس حكيتهم وبنات ابجيل نجوم

٧ بالوا كل ثريا ۞ والبدور يغيروا من بعضهم بى شماهم

٨ والا تغاربوا بان لهم فيار ۞ يوقع فيهم الخسوف ياو الكسوف الي معلوم

a) *La lecture de ce texte donne lieu à quelques observations.*

La première rime intérieure en ā long (yā mĕn tĕsra lyyā) nécessite, en vue d'un son unique, une modification de l'orthographe des mots qui la composent : un \ remplace le ā des noms et des adjectifs ; un \ s'ajoute au pronom affixe de la première personne du singulier.

Quoique le dialogue se poursuive entre deux femmes, les verbes sont employés aux deux genres. L'indifférence en matière d'orthographe est la seule cause de ces anomalies, d'ailleurs sans importance ici, puisqu'il ne peut y avoir confusion.

الشكل رقم 07: قصيدة من الديوان مع التعليق عليها[42]

وهكذا يمضي سونيك ترجمته للديوان عن طريق كتابة الكلمات العربية الصعبة بالحرف اللاتيني وشرح طريقة نطقها، وشرح الأفعال وتصريفها باللغة الفرنسية، فحقق توازنا –نوعا ما– بين اللغة التي كتب بها هذا الشعر الشعبي، وبين اللغة التي نقل إليها، فالديوان يتيح للقارئ الأجنبي – الفرنسي على وجه الخصوص– تعلم نطق هذه الكلمات بالعربية باعتبارها مكتوبة بحرفه، وفهمها باعتبار أن الباحث شرحها بلغة فرنسية واضحة. ومن هنا يمكن القول أن الترجمة عند سونيك قد حققت نجاحا محترما في نقل الشعر الشعبي العربي الجزائري إلى اللغة الفرنسية بتوازن وحكمة

وموضوعية، مهما كانت الغاية المرجوة من هذا العمل. ولا أحد ينكر فضله في نقل وحفظ عدد كبير من التراث الشعري الشعبي والحفاظ عليه من الضياع بسبب ظلم الاستعمار، ونسيان الأهالي له مع عامل الزمن الاستعماري الطويل الذي يساعد على ذلك.

خاتمة:

ختاما نجد أن المستشرق الفرنسي سونيك، قد قدم جهدا محترما في مجال دراسة الشعر الشعبي الجزائري من خلال كتاب الديوان المعرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب؛ فبالإضافة إلى جمعه وتدوينه لمجموعة كبيرة من القصائد الشعبية الجزائرية والمغاربية وحفظها من الضياع، فقد اعتمد فيه على طريقة متميزة في الترجمة والنقل من الدارجة الجزائرية إلى اللغة الفرنسية، إذ احتفظ بالكلمات العربية شكلا-أو رسما- ومضمونا، وكتب الصعبة منها بالحرف الفرنسي، مع تبيين ما وقع عليها من تغيير في النطق، وتقديم شروحات لمختلف الأفعال وتصريفها، والكلمات والعبارات ومعناها بلغة فرنسية واضحة.

وما يمكن قوله أن سونيك قد وازن أثناء ترجمته بين اللغة العربية الأصلية للديوان وبين اللغة الفرنسية المترجم إليها، فمكنت هذه الطريقة قارئ الديوان من فهمه، سواء أكان عربيا أو فرنسيا، فكان عمله هذا إضافة إلى مجال ترجمة الشعر الشعبي الجزائري بصفة خاصة، والمغاربي بصفة عامة.

الهوامش والإحالات:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دط، المجلد1، مصر، دت، ص 2244.

[2]- سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر مابين1830-1930(قراءة في مقال ل هنري ماسي Henri Massi ترجمة أ/د محمد يحياتن رحمه الله)، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو/ الجزائر، العدد1، المجلد8، مارس، 2017، ص164.

[3]- جابر قميحة، آثار الاستشراق والتبشير على الشباب المسلم، دعوة الحق، دط، مكة المكرمة، 1991م، ص15.

[4]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، دط، مصر، 1998م، ص23.

[5]- سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر، مرجع سابق، ص 165.

[6]- عبد القادر فيطس، جهود المستشرق الفرنسي سونيك في جمع وتدوين الشعر الشعبي المغاربي، مجلة الحقيقة، أدرار/الجزائر، العدد 2، المجلد 13، جوان، 2014م، ص 367.

[7]- المرجع نفسه، ص 368.

[8]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 49،50.

[9]- سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر ما بين 1830-1930، مرجع سابق، ص167.

[10]- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص52.

[11]- المرجع نفسه، ص52.

[12]- سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر مابين 1830-1930، مرجع سابق، ص 169.

[13]- المرجع نفسه، ص 169.

[14]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج3، بيروت، 1998م، ص 154.

[15]- سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر مابين 1830-1930، مرجع سابق، ص 172.

[16]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، مرجع سابق، ص 145.

[17]- ينظر، المرجع نفسه، ص 159 ، 160.

[18]- سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر ما بين 1830-1930، مرجع سابق، ص 174.

[19]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، مرجع سابق، ص 167.

[20]- عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2007م، ص15.

[21]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[22]- المرجع نفسه، ص 16.

[23]- المستشرق سونيك اسمه الكامل " قسطنطين لويس سونيك Constantin Louis Sonneck، كان مديرا للمدرسة العليا الإسلامية الكتانية بقسنطينة، ثم أستاذا في مدرسة المستعمرات بباريس، وصاحب" الديوان المعرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب، ينظر صلاح، مدونة سيدي بن عزوز، متاح على الشابكة، https://albordj.blogspot.com/2013/02/blog-post_4.html، تاريخ الولوج 2022/6/2، الساعة 9:00.

[24]- صلاح، الموقع نفسه.

[25]- عبد القادر فيطس، جهود المستشرق الفرنسي سونيك في جمع وتدوين الشعر الشعبي المغاربي، مرجع سابق، ص 376.

[26]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[27]- المرجع نفسه، بتصرف، ص 377.

[28]- قسطنطين لويس سونيك، الديوان المعرب في أقول عرب إفريقيا والمغرب، مطبعة أجوست بوردان، دط، فرنسا، 1902، ص 75.

[29]– عبد القادر فيطس، جهود المستشرق الفرنسي سونك في جمع وتدوين الشعر الشعبي المغاربي، مرجع سابق، ص 371.

[30]– سونيك، الديوان، ص 302.

[31]– المصدر نفسه، ص 3.

[32]– المصدر نفسه، ص 302.

[33]–المصدر نفسه، ص 302.

[34]– عبد القادر فيطس، جهود المستشرق الفرنسي سونيك في جمع وتدوين الشعر الشعبي المغاربي، مرجع سابق، ص 373.

[35]– سونيك، الديوان، ص 204.

[36]– عبد القادر فيطس، مرجع سابق، ص 378.

[37]– المرجع نفسه، ص 378.

[38]– المرجع نفسه، بتصرف، ص379.

[39]– سونيك، الديوان، ص 99.

[40]– المصدر نفسه، ص 100.

[41]– المصدر نفسه، ص 94.

[42]– المصدر نفسه، ص 129.

قائمة المصادر والمراجع:

1–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج3، بيروت، 1998م.

2– أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، دط، مصر، 1998م.

3– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دط، المجلد1، مصر، دت.

4– جابر قميحة، آثار الاستشراق والتبشير على الشباب المسلم، دعوة الحق، دط، مكة المكرمة، 1991م.

5– سهيلة درويش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر مابين1830–1930(قراءة في مقال ل هنري ماسي Henri Massi ترجمة أ/د محمد يحياتن رحمه الله)، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو/ الجزائر، العدد1، المجلد8، مارس، 2017م.

6– عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2007م.

7–عبد القادر فيطس، جهود المستشرق الفرنسي سونك في جمع وتدوين الشعر الشعبي المغاربي، مجلة الحقيقة، أدرار/الجزائر، العدد2، المجلد 13، جوان، 2014م.

8– قسطنطين لويس سونيك، الديوان المعرب في أقول عرب إفريقيا والمغرب، مطبعة أجوست بوردان، دط، فرنسا.

9– صلاح، مدونة سيدي بن عزوز، متاح على الشابكة، https://albordj.blogspot.com/2013/02/blog-post_4.html، تاريخ الولوج 2022/6/2، الساعة 9:00.